(ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا [57]) لما بين حالهم من مجادلة الرسل لسوء نية ومن استهزائهم بالإنذار وعرض بحماقتهم أتبع ذلك بأنه أشد الظلم . وذلك لأنه ظلم المرء نفسه وهو أعجب الظلم . فالذين ذكروا ما هم في غفلة عند تذكير بواسطة آيات ا وأعرضوا عن التأمل فيها مع أنها تنذرهم بسوء العاقبة . وشأن العاقل إذا سمع مثل ذلك أن يتأهب للتأمل وأخذ الحذر كما قال النبي A لقريش " إذا أخبرتكم أن العدو مصبحكم غدا أكنتم مصدقي ؟ : ما جربنا عليك كذبا " فقال " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " .

و (من) المجرورة موصولة وهي غير خاصة بشخص معين بقرينة قوله (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) . والمراد بها المشركين من العرب الذين ذكروا بالقرآن فأعرضوا عنه .

وعطف إعراضهم عن الذكر على التذكير بفاء التعقيب إشارة إلى أنهم سارعوا بالإعراض ولم يتركوا لأنفسهم مهلة النظر والتأمل .

ومعنى نسيان ما قدمت يداه أنه لم يعرض حاله وأعماله على النظر والفكر ليعلم : أهي صالحة لا تخشى عواقبها أم هي سيئة من شأنها أن لا يسلم مقترفها من مؤاخذة والصلاح بين والفساد بين ولذلك سني الأول معروفا والثاني منكرا ولا سيما بعد أن جاءتهم الذكرى على لسان الرسول A فهم بمجموع الحالين أشد الناس ظلما ولو تفكروا قليلا لعلموا أنهم غير مفلتين من لقاء جزاء أعمالهم .

ف (من) استفهام مستعمل في الإنكار أي لا أحد أظلم من هؤلاء المتحدث عنهم .

والنسيان : مستعمل في التغاضي عن العمل . وحقيقة النسيان تقدم عند قوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها) في سورة البقرة .

في التركيب هذا مثل يستعمل ما وأكثر . الأعمال من أسلفه ما (يداه قدمت ما) ومعنى A E القرآن في العمل السيء فصار جاريا مجرى المثل قال تعالى (ذلك بما قدمت يداك وأن ا ليس بظلام للعبيد) وقال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) .

والآية مصوغة بصيغة العموم والمقصود الأول : منها مشركو أهل مكة .

وجملة (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) مستأنفة بيانية نشأت على جملة (ونسي ما قدمت يداه) أي إن لم تعلم سبب نسيانه ما قدمت يداه فأعلم أنا جعلنا على قلوبهم أكنة . وهو يفيد معنى التعليل بالمآل وليس موقع الجملة التعليلية .

والقلوب مراد بها : مدارك العلم .

والأكنة : جمع كنان وهو الغطاء لأنه يكن الشيء أي يحجبه .

و (أن يفقهوه) مجرور بحرف محذوف أي من أن يفقهوه لتضمين (أكنة) معنى الحائل أو المانع .

والوقر : ثقل السمع المانع من وصول الصوت إلى الصماخ .

والضمير المفرد في (يفقهوه) عائد إلى القرآن المفهوم من المقام والمعبر عنه بالآيات .

وجملة (وإن تدعهم إلى الهدى) عطف على جملة (إنا جعلنا على قلوبهم) وهي متفرعة عليها ولكنها لم تعطف بالفاء لأن المقصود جعل ذلك في الإخبار المستقل .

وأكد نفي اهتدائهم بحرف توكيد النفي وهو (لن) وبلفظ (أبدا) المؤكد لمعنى (لن) وبحرف الجزاء المفيد تسبب الجواب على الشرط .

وإنما حصل معنى الجزاء باعتبار تفرع جملة الشرط على جملة الاستئناف البياني أي ذلك مسبب على فطر قلوبهم على عدم قبول الحق .

(وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا [58]) جرى القرآن على عادته في تعقيب الترهيب والترغيب والعكس فلما رماهم بقوارع التهديد والوعيد عطف على ذلك التعريض بالتذكير بالمغفرة لعلهم يتفكرون في مرضاته ثم التذكير بأنه يشمل الخلق برحمته في حين الوعيد فيؤخر ما توعدهم به إلى حد معلوم إمهالا للناس لعلهم يرجعون عن ضلالهم ويتدبرون فيما هم فيه من نعم ا تعالى فلعلهم يشكرون موجها الخطاب إلى النبي A مفتتحا باستحضار الجلالة بعنوان الربوبية للنبي A إيماء إلى أن مضمون الخبر تكريم له كقوله (وما كان ا ليعذبهم وأنت فيهم)